

## يجب يخلف

### نجران ... تحت الصفر

مسخ الغامدي لحيته بباطن كفه بشرود ، وقال كأنما يخاطب نفسه ( يستاهل .. كل من يخرج على طاعة السلطان ) . قام أحد المشايخ عن الكرسي ، واجلس مكانه الطبيب احمد شاهي الذي ظل عابسا وهو يحمل حقيته بقرف مؤكدا انه فريسيب الوجه واليد واللسان ..

ظل الزيدي يمضغ القات بشرود ، بينما اصابه تفرك الريالات الذهبية في جيب ثوبه الفضفاض ، ويحلم بأصفهان .. امرأة تلهث على صدره ، تسقيه من رضابها .. يشربها مثل زجاجة ويسكي مثلجة في ( ابورشاش ) ...

قالت الخادمة ( رباب ) القادمة لتوها من صعدة بلدة السميري ( صكي الدريشة يا غاليه .. ذا الحين يجي السميري ويحصل ما لا تحمد عقباه ) .

قا ( ابو شنان ) ذات يوم بعد ان تعتمه السكر ( غالية بنت السميري لها عينان مثل عيني الغزالة التي ارضعت بن ذي زن ) . ثم انه في اليوم التالي دفع عشرين ريالاً لرباب لكي تبلغها ذلك ، فضحكت غالية ، وقالت بتهافت ( هذا الولد خبل ، ما يعرف الليل من النهار ) .

: - صكي الدريشة يا غالية ذا الحين .. وي .. وي .. المستر ينظر اليك بالمنظار .. صكي الدريشة يا ابنة الاشراف . كان (ستيفن هايند ) ، او المستر كما يسمونه في نجران ، يقف على ظهرسيارته الروفر ويلتقط صوراً بالكاميرا المتحركة .. اغلقت ( رباب ) النافذة، وقالت بلا مبالاة : متى يذبحون الياامي وننتهي من شره ؟

ارتسم غضب هائل على وجه سمية ، فصرخت بصوت مبجوح : - ها .. انت .. ايش تفعل يا ذاك النصراني ؟

رفع المطوع خيزرانتة في وجهامهددا بشكل جدي ، وقال (اسكتي يا عبدة السوء .. هذا معه امر بالتصوير من الامير طال عمره ..).

نقل ابو شنان المسواك الى زاوية فمه ، وقال باستفزاز ( اسمع يا مطوع .. الشيخ يقول ان التصوير حرام .. كيف يسمح الامير .. كيف ؟ ) .

تحول المطوع الى ( ابو شنان ) ورفع عليه خيزرانتة :

( ايش تقول يا كافر .. والله لولا الحد الذي سيقام على الياامي لفرشتك على الارض وجلدتك مائة جلدة ) .

قال الغامدي يخاطب نفسه ( متى ينتهي الامر ، ويكون الياامي عبدة لمن اعتبر ؟ ) .

اقبل المطوعون ، وطلبة المعهد الديني ، واءضاء جمعية الامسر المعروف ، وحرس الامير ، والخويان ، وباعة المقلقل ، وسيارات الونيت ، وعدد من مرتزقة ( بو طالب ) ، وواحد من الزيود ، اقبل الغامدي شيخ مشايخ التجار ، وسمية عبدة السديري سابقا وبائعة الفجل حاليا ..

اقبل احمد شاهي ، الطبيب الباكستاني في سيارة الاسعاف ، واطلت من ( الدريشة ) غالية ابنة السميري قائد قوات الامام .. ومن مطعم الحصري ، خرج ( ابو شنان ) الذي اطلق سراحه حديثا لانه افطر عامدا متعمدا في رمضان .

ورفع مدير مكتب الاشراف هاتفه ، واتصل بالمدرسة المتوسطة، فانطلق الصبيبة عبر شارع الزيود الى الساحة الواسعة - التي تتحول أيام الاثنين الى سوق من اسواق العصور الوسطى - .. وتقافز الصبيبة والطلبة فوق اكياس المستكسة والبهار والخبان والمحلب والروحة والحناء ..

ودفعة واحدة .. صممت بيوت نجران .. تسلل السكون الى ازقتها ومنعرجاتها ، وملأ فجوات الابواب ، وشقوق النوافذ . احاط الناس بالساحة الواسعة من جميع الجهات ، وصعد الذين ضاقت الساحة عن استيعابهم الى سطوح المنازل التي تبدو كقلاع تنتمي الى عصر ما ..

قا ( ابو شنان ) وهو يضع المسواك في فمه كالسيجار : ( يا ويلي .. اليوم سيدبحون الياامي ) .

كان أحد الزيود الى جانبه يمضغ القات بلا مبالاة ، فيما تقدمت سمية السمراء ، وقالت : انا فدى عيونك ياياامي .. انا فداك . قال أحد المطوعين : - صل يا ولد .. صل . فصت الساحة بالناس اكثر فاكثر .. فصت بالوجوم والترقب والتوقعات ..

اخرج ( ابو شنان ) المسواك من فمه ، وتذكر الالم الذي مزق احشاه عندما شرب زجاجة الكولونيا بعد ان عزت الغمرة . وقال لنفسه ان المرارة التي تملأه في هذه اللحظة اشد الما حتى من ضرب الخناجر المعقوفة ..

شدت سمية أحد المطوعين من كتفه ، وقالت بغضب : « ايش عمل الياامي .. هه .. ايش عمل ؟ »

ازاح المطوع يدها ، وقال دون ان ينظر اليها : ( الياامي مغرب .. يتصل بالجمهوريين ) .

ظلت اصابع الزيدي تلعب بالريالات الذهبية في جيبه ، وظلت المرأة تنسرب الى تلافيف دماغه مع خدر القات ، وديبب الناس الصعب . قالت سمية ، تخاطب عددا من الناس حولها : انا ارفه يا جماعة . لقد ارضعته من ثديي يوم ان لسعت العقرب امه .. كان اهله يسكنون معنا في الاخود .. اليامي مظلوم ..

فجأة .. وقف الجالسون ، وتفاقر الناس على اكتاف بعضهم البعض ، اشأبت عنق القامدي ، وفتحت غالية النافذة غير عابثة بكاميرة المستر .. وتملك الزيدي صحو مفاجيء ، وشمر (ابوشنان) بحاجة لجرعة واحدة من اردأ انواع الخمور ..

اما سمية فقد اخذ قلبها يفوص .. توقفت سيارة البيك اب الحمراء ، فأحاط بها الجنود ، وتقدم رجالان وقفا عند بابها الخلفي ..

انجست الانفاس ، وفجأة ، انفتح باب السيارة الخلفي عن اليامي .. وجه منحوت من الصخر ، وعينان ثابتتان .. حول الرقبة قيد تتدلى منه سلاسل متصل بقود رسغيه وقدميه .. كان الصمت هائلا ، ومثل حجر الطاحون ثقيلًا .. ظل المستر يسلط عدسته على العينين ..

تقدم الرجلان ، وامسكا بذراعي اليامي .. انتثر فاصطدمت حلقات السلاسل ببعضها البعض ، ودفعة واحدة انزله الى الارض ، فارتطمت قدماه بالتراب ذي الرائحة الحروقة .. جحظت عينا سمية ، وبدا كما لو انها فقدت النطق .

وفي راس الزيدي اختلط الحابل بالنابل ، والابيض بالاسود ، والغبار باوامر ( بو طالب ) ، وخنجر الامام بحذاء الولد الشمري .. دفعه الرجلان ، فحشى اليامي في الساحة ببطء ، ينقل قدميه بصعوبة ترافقه خشخشة السلاسل ..

وسط الساحة ، تنفس بعمق ، ثم استدار مواجه العيون الصامتة الماخوذة ، فبكى ( ابو شنان ) وتذكر عنترة اذ السهم في خاصرته وهو يتوكأ على رمحه ، ولهيته تراجع الجيوش الغازية . وقال لنفسه ( الولد اليامي يموت ولا الهانة ) .

جاء مندوب الامير ، يرافقه الشيخ ، يرافقه كاتبا المحكمة .. قال مندوب الامير شيئا . وقال الشيخ شيئا او بعض شيء .

ثم نشر كاتب المحكمة ورقة طويلة ، واخذ يقرأ بصعوبة . قالت غالية السمييري لرباب ( ذا الحين يطقون راسه ) . اغلقت رباب النافذة ، وقالت ( لا تنظري حتى لا يصيبك الخفقان ) .

صمتت غالية السمييري ، وألصقت اذنها بخشب النافذة .. اسرعت رباب ، ووضعت اسطوانة طلال مداح على قرص البيك اب ، فانطلقت ياسارية خبريني عما جرى .. وقف الطبيب احمد شاهي ونظر الى اليامي دون ان يفتح حقيبته ، ثم هز راسه لمندوب الامير كما لو انه يخبره بان كل شيء على ما يرام .

وعند ذلك ، استبدل المستر الفيلم الذي انتهى باخر جديد ، واعاد تصويب كاميرته بينما حديد غطاء الروفر يطقق تحت قدميه .. ( والله يا بو شنان انك تدفع كل عمرك من اجل اليامي ، ولكن ما باليد حيلة ، وغدا لن تجد في الكاس سوى دمة واحدة تظل تكبر حتى يمتلئ الكاس بالنشيج ) ..

..... ( القات اختر ، ومن جديد عز النعاس الصعب ، واختلط الحابل بالنابل والعويل بجحر المسن ، وصراخ ( بو طالب ) برضاب اصفهان ، وصحن المقلقل بالعصيدة المرة ) .

● فجأة ، ظهر المارد ...

لا احد يعرف من اين وكيف ؟ لكنه ظهر وسط الساحة .. يلبس سروالا خفيفا ، وصدره العاري يكشف عن عضلات بارزة .

ظل قلبها يفوص ، وقالت سمية : هذا هو الجلاد .. وفاضت عينها بفزارة .

اقترب احد المطاوعة ، وعصب عيني اليامي الذي ظل يحتفظ بتناسكه وان كان لونه قد اخذ يشحب ، بينما قام رجل اخر بفك القيد الذي يحيط برقبته . اشار مندوب الامير ، فتقدم رجل يعمل سيفا عريض النصل ، وشت انحناء الرجل بثقله .

هجم المارد على السيف ، حمله بتراعيه ، ثم سحبه من فراجه ، فالتمع النصل اذ لامس اشعة الشمس ، وتوهج ، قال القامدي لنفسه : - هذا السيف عندما يرى الدم سوف يصيبه الهيجان ، وربما يذهب ضحية ذلك الكثير من الخلق .. فلماذا البقاء ؟

امسك المارد بالسيف ، وبدأ يتفحص ثقله ، ثم رفعه ، واخذ يطعن الهواء كما لو انه ينازل عدوا حقيقيا . انجست الانفاس اكثر فاكثر ، وانكمش اليامي مثل عصفور تنغرز اظافره باسلاك الهاتف .

انتهت الاسطوانة ، فقالت غالية وهي تنظر الى خشب النافذة المغلقة : ( عجا .. ما هذا الصمت ؟ ) .

اقتربت رباب ، وفتحت النافذة بقر يسمح لعينيها بالنظر .. وقالت ( المارد يقف بانتظار اشارة الامير وبعد لحظات يفصل راسه عن جسده ) .

واعادت ابنة السمييري اسطوانة يا سارية من جديد .. جحظت عينا ( ابو شنان ) كأنما ذهبت السكره وجاءت تاماما الفكرة .. كان الناس حوله ينظرون برعب وخوف ..

اشار مندوب الامير بيده ، صار القات مرا كالعقم ، احس الزيدي ببراغيث عقله تتطاير ، استهرت يا سارية خبريني تدور وتدور .. وانتقل المسواك بعصبية في فم ابو شنان ..

رفع المارد سيفه عاليا .. عاليا .. شهقت العيون .. انكمش العصفور برعب كأنما هبت موجة عاتية لاقتلعه فاستمات اظافره في اسلاك الهاتف ..

هوى السيف ، فاختلط الحابل بالنابل ، والاسمر بالاحمر ، واليارد بالساخن ، شخب الدم ، ولكن لم يتدرجج الرأس . اغمض مندوب الامير عينه ، وارسم فزع لا يطاق على وجه احمد شاهي ..

لقد اصاب نصل السيف اعلى الكتف .. صرخ اليامي من اعماق جمجمته بصوت مثل صرير الاسنان .. وبدا مثل ديك ذبحوا منه الوريد فهاجت حلوة روحه ، وانطلق يبحث عن عراء ...

قفز في الهواء ، فشدته القيود والسلاسل ، ارتدى على الارض يرتعش مثل جناح الديك في اخر انفاسه .. هاج المارد مثل موجة عاتية ..

شدد الحراس من تماسكهم حول الحلقة ، ومنعوا الناس مسن التدافع .. هتف ابو شنان بكل ما في اعماقه من قهر : انا فدى عيونك يا يامي .. انا فداك .

انتفضت عروق المارد واوداجه وفتحتا انفه وهو ينظر الى النجثة .. ودفعة واحدة ، رفع السيف عاليا ، واهوى به على الرقبة .. فاختلط الحابل بالنابل ، والمحسوس بالمجرد ، والاحمر بالتراب ، والزيدي بحذاء الامام ، والمستر بطلال مداح ، وابو شنان بغضب الرب ... فلسطين